



تحاول إيران، بين فترة وأخرى، توصيل بعض الرسائل، إلى من يهمه الأمر، حول توجهاتها الجديدة ورغبتها في إعادة تمويع جديدة في إطار العلاقات الدولية و موقفها من بعض القضايا الإقليمية التي تشكل أحد أبرز إشكالياتها مع البيئة الدولية، وأيّاني في مقدمة تلك القضايا مسألة مدنفونها إلى قلب العالم العربي عبر سياسات عنيفة هدفها تغيير المعادلات السياسية والاجتماعية في المنطقة لصالحها من خلال ارتكازها على عامل القوة وحده وعبر بث الفتنة والصراعات المذهبية.

آخر تلك التسريبات، ما نقلته صحفة طهران على لسان السفير الإيراني السابق بدمشق، حسين شيخ الإسلام، حول موقف طهران من طريقة معالجة نظام الأسد للأزمة السورية وانتقاده لأساليب القمع والقتل المجاني لأبناء الشعب السوري، وهو أمر، على ما أكد شيخ الإسلام، لم تكن تريده طهران، التي أرسلت لنظام الأسد هراوات للتعامل مع الثوار! لم يعد مهما مساجلة مثل هذا المتنط وتفنيد مزاعمه، بقدر ما يهم تحليل سياسات إيران في هذه المرحلة الحساسة من عمر الأزمة السورية، فإن الواضح أن هذا الكلام مقصود به بدرجة كبيرة طبقات سياسية وعسكرية داخل النظام الإيراني، ربما لمعرفة مدى تفاعل مثل هذا الكلام بداخلها، أو لإحداث صدمة لدى بعض مراكز القوة تستفيد منها جهات إيرانية معينة، ناهيك عن المحمول الدعائي لهذا المتنط للخارج الدولي. الواقع تقول أن إيران منخرطة بدرجة كبيرة في الحرب السورية، وأن انسحابها بشكل فجائي أمر غير وارد على الإطلاق،

ليس بسبب تأثيره الكبير في منظومة المصالح الإيرانية ونفوذها وحسب، ولكن على الاستقرار الداخلي لإيران نفسها، ذلك أن انخراط إيران في الحروب الواسعة في المنطقة أوجد دوائر خاصة بإدارة تلك الحروب وتسخير شؤون الأطراف الحليفة لها، وهذه الدوائر صارت بمثابة مراكز قوى ذات تشابكات مصلحية وإيديولوجية وهي تمدد في قلب النظام الإيراني، وبالتالي فإن عملية نزعها بشكل فجائي سيكون لها ارتدادات عميقة في إيران، وهي بمعنى أنها في هذه المرحلة.

ويivid تحليل السياسات الإيرانية الراهنة بالاتي، أن وصول حسن روحاني للسلطة هو تغيير أُجبر عليه نظام الملالي، ليس بطلب خارجي، وإنما لكونه يمثل تياراً وخطاً سياسياً موجود في قلب نظام الجمهورية الإسلامية، لديه رؤية لتجديد المشروع الإيراني وإعادة تزكيمه بعد أن وصل إلى مأزق بفعل سياسات المحافظين وممثليهم أحمد نجاد ونتيجة سياسات المرشد الأعلى المؤسسة على الأيديولوجيا، فالمطلوب من روحاني وتياره إضافة بعد نفعي على السياسية الإيرانية وهذا لن يحصل دون صلحيات كافية ودون تنازلات تمثل دعم لهذا التوجه، فالعلم في النهاية ليس معنوها بالقدر الذي قد تنطلي عليه سياسات إيران الخبيثة والماكرة.

هذا الخط السياسي الإيراني له جذور تعود إلى فترة حكم هاشمي رفسنجاني، وقد حاول محمد خاتمي تثميره وإن بخجل وضعف شديدين، وهو يحاول التساقط مع وثيقة الرؤية المستقبلية التي أطلقها إيران قبل سنوات والتي حددت فيها عام 2025 عاماً لتكون إيران القوة الإقليمية الأولى، ولكن هناك رؤيتان لتنفيذ مقتضى الوثيقة تمثلاً تياران في السلطة الإيرانية، أحدهما وهو التيار المحافظ كان يرى تحقيق ذلك عبر مد النفوذ والسيطرة على الإقليم وتحديداً العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، والآخر كان واقعياً أكثر ويدعو للتركيز على فتح أبواب العلاقات مع الغرب وتحديداً منه واشنطن. يحاول حسن روحاني تعميق مسار جديد في السياسة الإيرانية من خلال دفاعه عن خيار التقارب مع واشنطن، وعبر إعادة تمويع جديدة للسياسة الإيرانية وتحويلها إلى دور وحاجة لا غنى عنها في المنطقة يتخد من أسلوب الوساطة في حل المنازعات وتسوية الأزمات وسيلة له.

لكن حسن روحاني لا يستطيع مواجهة مراكز القوة وتحديداً الحرس الثوري ذي القناعات الإيديولوجية المتشددة، ويحاول بناء مركز قوى موازي من أصحاب المصالح والتجار، وقد لوحظ في أثناء حرب غزة مدى الاندفاع الإيراني في محاولة تغيير الصورة المشوهة لدى العالم العربي عن سياسات إيران في سوريا والعراق.

الواقع أن تلك الإرهاصات توقف راءها تحولات اقتصادية واجتماعية في الداخل الإيراني، وهي باتت تشكل تحديات سياسية لنظام الملالي في المدى المنظور إن لم يتم البدء بمعالجتها فلن تنتهي تذبذبات طهران تجاه نظام التركيبة الإيرانية الاجتماعية والسياسية برمتها.

لكن ما أهمل من ذلك، أن هذه الإرهاصات هي انعكاس لقناعة نخبة سياسية إيرانية في موقع صناعة القرار، بأن مجاهيد إيران قد جرى استنزافها، وأن مشروع هيمتها على سوريا صار مسدود الأفق، وأنها تضييف تطويراً ذي دلالة على الواقع في سوريا، فقط ستعيد إنتاج حالة الاستنزاف واستمرار الدوران فيها، ولا شك أن هذا الفارق في حسابات طهران تجاه نظام الأسد أحدثه ثورة السوريين وإصرارهم العنيد على النصر، والأهم من ذلك إدراك طهران أن نظام الأسد تخلي ويوشك على الانهيار وإن عمليات حجمه لن تفيد بشيء، وخاصة وأن أنصاره في العراق صاروا يطلبون العون للمحافظة على عاصمتهم، فيما سنته حزب الله بات يحتمي بمعاوير الجيش اللبناني.

المصادر: